

## الأثر السياسي للسيد علي الخامنئي ١٩٥٥ - ١٩٧٩

غسان امجد برزان

د. نزار علوان عبد الله

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

[ghassanshama1991@uomustansiriyah.edu.iq](mailto:ghassanshama1991@uomustansiriyah.edu.iq)

[nazar12933@uomustansiriyah.edu.iq](mailto:nazar12933@uomustansiriyah.edu.iq)

### المستخلص

يتتبع هذا البحث المسار النضالي للسيد علي الخامنئي من ١٩٥٣ إلى ١٩٧٩. يدرس كيفية تطوره من متأثر بخطاب نواب صفوي الثوري إلى قائد إستراتيجي أساسي في الثورة الإسلامية الإيرانية. يسلط الضوء على محطات تكوينه الفكري، وتجربة الاعتقالات الست التي صقلت فكره، وفترة النفي التي وسعت قاعدته الشعبية، وأخيراً دوره المحوري في تنظيم عودة الإمام الخميني وتأسيس مجلس قيادة الثورة. يخلص البحث إلى أن هذه المسيرة الممتدة ربع قرن جمعت بين العمق الفقهي، والخبرة التنظيمية، والمقاومة النفسية، مما أهله للمشاركة في تأسيس الدولة الإسلامية. الكلمات المفتاحية: التكوين النضالي، الاعتقالات السياسية، ولاية الفقيه.

### Abstract

This research traces the struggle path of Ayatollah Ali Khamenei from 1953 to 1979. It examines his evolution from being influenced by Navab Safavi's revolutionary discourse to becoming a key strategic leader in the Iranian Islamic Revolution. The study highlights the stages of his intellectual formation, the experience of six imprisonments that refined his thought, the exile period that expanded his popular base, and finally his pivotal role in organizing Imam Khomeini's return and establishing the Revolutionary Council. The research concludes that this quarter-century journey combined jurisprudential depth, organizational experience, and psychological resilience, qualifying him to participate in founding the Islamic state.

Keywords: Struggle Formation, Political Imprisonments, Guardianship of the Jurist (Wilayat al-Faqih)

### المقدمة

يُمثل المسار النضالي للسيد علي الخامنئي (القائد الأعلى الحالي للجمهورية الإسلامية الإيرانية) نموذجاً فريداً لتطور قائد إسلامي في القرن العشرين. فمن طالب علوم دينية شاب في مدينة مشهد إلى أحد أهم المهندسين لقيام الدولة الإسلامية، تمتد رحلته على مدى ربع قرن من الكفاح المتواصل ضد نظام الشاه محمد رضا بهلوي. تنبثق هذه الدراسة في المراحل التكوينية لهذه الشخصية المحورية، فتتناول بواكير وعيه السياسي وتأثره برواد الحركة الإسلامية، ثم تخوض في غمار تجاربه القاسية في سجون النظام وتعذيبه المنهجي عبر ست اعتقالات متفرقة، لترصد بعد ذلك كيف حوّل محنة النفي إلى مناطق نائية إلى منصة لتوسيع نفوذه ونشر أفكاره. وأخيراً، تتوقف عند دوره المحوري في الأيام الحاسمة للثورة، حيث تحول من مناضل سري إلى قائد ميداني ومنظم للحدث التاريخي الأبرز: عودة الإمام الخميني وانتصار الثورة. تهدف الدراسة إلى تحليل كيفية تفاعل العوامل الفكرية من خلال التأثير بنواب صفوي وسيد قطب والإمام الخميني، والتجريبية من خلال السجن والنفي، والتنظيمية من خلال بناء الشبكات السرية والعلنية في صياغة رؤية الخامنئي السياسية ومهاراته القيادية. تعتمد منهجية البحث على تحليل المصادر الأولية، بما فيها مذكرات السيد الخامنئي نفسه، ووثائق أرشيف جهاز السافاك التي أُفرج عنها بعد الثورة، والمقابلات الشفوية مع رفاق النضال، إلى جانب المصادر الثانوية الأكاديمية باللغتين الفارسية والعربية.

المبحث الأول: بواكير نشاطه السياسي

عاصر السيد علي الخامنئي مرحلة ترؤس محمد مصدق للحكومة الإيرانية وهروب محمد رضا بهلوي، وما تبعه من أحداث سياسية كبرى (١). وعلى الرغم من أهمية تلك الحقبة تاريخياً، إلا أنها لم تكن نقطة الانطلاق الحقيقية في تكوين وعيه السياسي أو تأثره بالعمل النضالي (٢) إذ كانت بواكير تأثره بالنشاط السياسي قد تبلورت عند لقائه ب نواب صفوي، وسماعه لخطابه الحماسي الذي ألقاه أثناء زيارته للمدرسة المهديّة في مدينة مشهد عام ١٩٥٣م، حيث تركت تلك الشخصية أثراً عميقاً في وجدانه الثوري (٣). وعلى الرغم من أن السيد الخامنئي لم ينتسب تنظيمياً إلى فدائيان إسلام، إلا أن أفكار الجماعة وخطها الراديكالي في مواجهة النظام، وخصوصاً فكرة الجهاد كوسيلة للتغيير، تركت أثراً عميقاً في تفكيره الثوري المبكر. (4) ويذكر السيد الخامنئي في مذكراته أنّ أول تحرك سياسي ميداني شارك فيه كان في عام ١٩٥٥م؛ وذلك احتجاجاً على قرار محافظ مدينة مشهد القاضي بتقليص عطلة دور السينما لتقتصر على الأيام الاثني عشر الأولى من شهر محرم فقط، بعد أن كان العرف السائد يقضي بإغلاقها طيلة شهري محرم وصفر احتراماً لذكرى عاشوراء. وقد تمثل دوره آنذاك في كتابة وتوزيع بيانات احتجاجية مكونة من أربع صفحات، جرى نشرها وتوزيعها في مختلف أنحاء المدينة. (5) استمرت المشاركات السياسية للسيد الخامنئي بعد حادثة السينما، حيث انتقل إلى المشاركة في التظاهرات والمواجهات المباشرة. ففي عام ١٩٥٧م، احتجاجاً على زيارة موشيه ديان لإيران، نظم طلاب الحوزة والعلماء في مشهد تظاهرة كبيرة شارك فيها الخامنئي بنشاط، واصطدمت بقوات الأمن، مما أسفر عن اعتقال عدد من المشاركين. وشكلت هذه الأحداث تجربة مباشرة في مواجهة أجهزة النظام، وربطت بين النضال الوطني والقضية الفلسطينية في وعيه المبكر. (6) بعد عودته من النجف إلى قم، شارك في دروس السيد الخميني عام ١٩٥٨. فإذا كان نواب صفوي يمثل نموذج الثوري المتأجج، فإن السيد الخميني مثل له نموذج المرشد الفقيه صاحب المشروع الفكري والسياسي المتكامل. وقد بدأ يلاحظ أن خطاب الخميني رغم ثورته، يمتلك عمقاً فقهياً واستراتيجياً أوسع (٧). وقد تم اختياره عضواً في لجنة من ١١ شخصاً شكّلها الإمام الخميني لإصلاح الحوزة العلمية في قم، والتي كانت تهدف إلى تهيئة أرضية سياسية للانقلاب على الشاه. فبينما كان آية الله بروجردي، مؤسس الحوزة العلمية في قم، يعارض فكرة تسييس الحوزة العلمية، كان على أفراد هذه المجموعة أن يعملوا بشكل سري في الحوزة، حيث لم تستطع أن تعلن عن وجودها إلا بعد وفاة آية الله بروجردي عام ١٩٦١. كانت هذه المجموعة تعمل على تجنيد طلاب العلوم الدينية وتنظيمهم سياسياً كي يكونوا نواة لحركة مستقبلية لإسقاط نظام الشاه. (8) علاوةً على ما سلف، كان لنشاطه في مضمار الترجمة، ولا سيما نقله لمؤلفات سيد قطب إلى اللغة الفارسية في المدة المحصورة بين عامي ١٩٦٠-١٩٦٢م، صدقاً واسعاً في أوساط الحركات السياسية المناهضة لنظام الشاه، إذ لم تكن تلك التراجم مجرد جهد أدبي، بل مثلت وقوداً فكرياً ساهم في تعبئة الشارع وتثويره، مما جعل تحركاته تحت مجهر السافاك، الذي بدأ ينظر إلى نشاطه بوصفه تهديداً مباشراً للأمن القومي للنظام آنذاك. (9) وفي أعقاب الاعتراض على "الثورة البيضاء" وما تلاه من حادثة الاعتداء على المدرسة الفيضية في قم عام ١٩٦٣، التي حدثت بسبب إصدار الشاه قانون "اتفاقيه الحصانة" (الامتيازات القضائية للأمريكيين)، انخرط الخامنئي بشكل أعمق في النشاط المناهض للنظام. حيث شارك في جمع التبرعات لدعم عائلات المعتقلين، ونظم حلقات قراءة ونقاش لبيانات الخميني التي كانت تصل سراً إلى مشهد، وقام بطباعة وتوزيع هذه البيانات على نطاق محدود لكنه فعال داخل أوساط الحوزة والطلاب الجامعيين. (10) حيث مثلت أحداث انتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣ نقطة تحول حاسمة في المسيرة النضالية للسيد علي الخامنئي. فبعد القبض على الإمام الخميني وإطلاق الشاه العنان لقمع المظاهرات العارمة، تحولت مشهد إلى ساحة مواجهات دامية. قاد الخامنئي مع مجموعة من رفاقه مظاهرات حاشدة في ساحة أبرقو أمام مبنى المحافظة، وواجهت قوات الأمن المتظاهرين بعنف، مما أدى إلى سقوط شهداء وجرحى في المدينة (١١). كما كان دوره فيها يتمحور حول التوجيه الخطابي وتنظيم مسارات التظاهر، وهو ما جعله على قائمة المطلوبين لأجهزة الأمن (السافاك) للمرة الأولى بشكل جدي. (12) بعد هذه الأحداث، دخل السيد علي الخامنئي مرحلة جديدة من النضال. فبينما واصل التدريس في الحوزة، أصبح بيته في مشهد نقطة الالتقاء للناشطين واستنساخ المنشورات. كما بدأ برحلات إلى مدن أخرى مثل طهران وأصفهان لتنسيق الجهود بين الخلايا الناشطة ونقل المعلومات والتعليمات. وقد وضعت هذه النشاطات تحت المراقبة المستمرة، مما مهّد الطريق لاعتقاله الأول بعد فترة ليست طويلة. (13)

### المبحث الثاني: الاعتقالات التي تعرض لها السيد علي الخامنئي

تعرض السيد الخامنئي خلال الحقبة الممتدة من عام ١٩٦٣م وحتى قبيل انتصار الثورة عام ١٩٧٩م إلى ستة اعتقالات من قبل نظام الشاه (14). الاعتقال الأول: تم الاعتقال الأول للسيد علي الخامنئي في مدينة بيرجند في تشرين الثاني عام ١٩٦٣ (١٥). وجاء هذا الاعتقال في سياق حملة القمع الواسعة التي شنّها نظام الشاه بعد انتفاضة ٥ حزيران ١٩٦٣، حيث كانت أجهزة الأمن (السافاك) تعمل على ملاحقة القيادات الناشئة في الحركة الإسلامية في مختلف المدن الإيرانية (١٦). وكان السيد الخامنئي قد بلغ من قبل السيد الخميني بالذهاب إلى بيرجند (مقل ومسقط

رأس أسد الله علم، رئيس وزراء الشاه). حيث أثارت خطباته الحماسية التي ألقاها في مسجد بيرجند حول أحداث ٥ حزيران ١٩٦٣ حفيظة السلطات. ذهب بعدها في رحلة تبليغية إلى مدينة زاهدان، حيث ألقى خطابات تنقيفية ثورية وحاول تنظيم اللقاءات بين النشطاء الدينيين هناك، قبل أن يعتقله عناصر السافاك أثناء عودته في بيرجند بناءً على معلومات استخباراتية مسبقة (١٧). نُقل المعتقل بعد القبض عليه مباشرة إلى العاصمة طهران، حيث سُجن في سجن قزل قلعة الشهير، والذي كان يُعرف بأنه سجن السجناء السياسيين الخطيرين (١٨). وخضع لتحقيق مكثف استمر عدة أسابيع، ركز خلاله المحققون على استجوابه حول طبيعة رحلته إلى المناطق الشرقية وأهدافها، وعلاقاته في تلك المناطق خصوصاً مع من يشتبه في ارتباطهم بتنظيمات مسلحة أو خلايا ثورية مسلحة (١٩). كما حاول المحققون الضغط عليه للكشف عن طبيعة علاقته المباشرة بمراجع الدين المعارضين، وعلى رأسهم السيد الخميني (٢٠). واجه السيد علي الخامنئي خلال فترة التحقيق أساليب تعذيب متنوعة، شملت تعذيباً نفسياً من خلال التهديد باعتقال والده آية الله جواد الخامنئي وأفراد عائلته، والعزلة الطويلة في زنازين انفرادية مظلمة (٢١). كما تعرض لتعذيب جسدي قاسٍ تمثل في الضرب المبرح على باطن القدمين والضرب بالكابلات المطاطية على مختلف أنحاء جسده (٢٢). واستخدم المحققون أيضاً أسلوب الحرمان من النوم من خلال استجوابه لساعات طويلة متتالية دون راحة (٢٣). رغم شدة الضغوط والتعذيب، التزم الصمت ولم يعترف بأي معلومات تنظيمية حساسة، وتمسك بموقف الجهل بأي تفاصيل قد تضر برفاقه في النضال (٢٤). أُفرج عنه بعد شهرين من الاعتقال دون توجيه تهم رسمية محددة، وذلك لعدم تمكن التحقيق من الحصول على اعترافات كافية ضده، ولكون الاعتقال يهدف في الأساس إلى إرهابه واختراق شبكته النضالية الناشئة. (25) الاعتقال الثاني: تم الاعتقال الثاني في ربيع عام ١٩٦٤، في مدينة زاهدان، حيث تمت عملية مدهامة لبيت أحد أعضاء "حلقة الأخوة الإسلامية" (٢٦). إذ جاء الاعتقال بعد رصد أجهزة الأمن لحركته ونشاطه المتجدد في إعادة ترميم حلقات تنظيمية وطباعة المنشورات. كانت التهمة الرسمية الموجهة إليه التحريض ضد الأمن القومي، والانتماء إلى جمعية غير قانونية تهدف إلى الإطاحة بالنظام (٢٧). نُقل إلى سجن قزل قلعة المركزي في مشهد، الذي كان يُعتبر أشهر مراكز التعذيب في شرق إيران (٢٨). وُضع في زنزانة انفرادية مظلمة، وبدأت جلسات التحقيق التي ركزت على معرفة أسماء أعضاء تجمعاته وعلاقاته مع قادة المعارضة في الخارج (٢٩). واجه خلالها أساليب تعذيب متنوعة (٣٠). إلا أنه صمد خلال التحقيقات ولم يعترف بأسماء رفاقه رغم شدة التعذيب (٣١)، الذي ترك آثاراً جسدية دائمة على صحته، خاصة الآلام مزمنة في الظهر (٣٢). شكلت فترة السجن هذه نقلة عميقة في فكره ووعيه. كتب لاحقاً عن هذه التجربة: "السجن كان جامعة حقيقية للثورة، علمتني معنى الصبر، وعمقت إيماني بأن طريق الحق محفوف بالمكاره" (٣٣). في العزلة، انهمك في دراسة القرآن الكريم بتأمل أعمق، وتأمل في أسباب ضعف الأمة الإسلامية وهيمنة القوى الاستعمارية عليها. (34) الاعتقال الثالث: لم يكن السافاك بمنأى عن رصد التحولات الفكرية والتنظيمية التي أحدثها السيد علي الخامنئي في أوساط حوزة مشهد عقب خروجه من الاعتقال الثاني، والتي بلغت ذروتها في نيسان عام ١٩٦٧، وصولاً إلى أجواء الاحتقان السياسي الذي ساد المنطقة بعيد نكسة حزيران ١٩٦٧ (٣٥)، حيث كان الخامنئي يربط في خطباته بين النضال ضد الاستبداد الداخلي والقضايا المركزية للأمة الإسلامية (٣٦). كان ذلك تزامناً مع مراسم التشييع الشيخ مجتبي القزويني التي تحولت إلى تظاهرة سياسية كبرى ضد نظام الشاه، مما أدى إلى وقوع صدامات مع أجهزة الأمن التي حاولت تفريق الحشود (٣٧). وعلى إثر ذلك، شنت قوات السافاك حملة مدهامات انتهت بألقاء القبض على السيد علي الخامنئي واقتياده إلى مبنى "سافاك مشهد"، حيث خضع لتحقيقات أولية قاسية تمحورت حول دوره في تحريض الجماهير وتنظيم مراسم التشييع (٣٨). وتم نقله إلى معتقل عسكري في العاصمة طهران، وتم إيداعه في زنزانة انفرادية ضيقة. وركزت جلسات التحقيق في هذه المرة على اتهامه بتشكيل خلايا نائمة في شرق البلاد لها صلة مباشرة بمرجعية قم. وبالرغم من الضغوط النفسية والجسدية التي واجهها في المعتقل العسكري، إلا أنه استثمر هذه الفترة لتعميق صلته مع السجناء السياسيين الآخرين، مما جعل من هذا الاعتقال وسيلة لتمتين "الشبكة النضالية" خلف القضبان، قبل أن يُفرج عنه لاحقاً في صيف عام ١٩٦٧ (39). بحلول عام ١٩٧٠، كانت ملامح فكره السياسي والفكري قد اكتملت وتبلورت في إطار متماسك (٤٠). لقد جمع في شخصيته بين ثلاثة أبعاد: الفقيه الحوزوي التقليدي المتمكن من أدوات الاستنباط، والمفكر الإسلامي المجدد المنفتح على أسئلة العصر، والمناضل الثوري العملي الخبير بأساليب العمل الجماهيري. (41) الاعتقال الرابع: جاء الاعتقال الرابع في عام ١٩٧٠، فقد كان نتيجة لحملة ممنهجة ومخططة من قبل جهاز السافاك ضد ما كان يُعرف داخل أروقة المخابرات البهلوية بـ "الخلايا الفكرية الإسلامية"، التي رأت فيها خطراً أيديولوجياً يتجاوز بكثير النشاط السياسي التقليدي. كان هذا الاعتقال في الواقع محاولة متعمدة من النظام لقطع الطريق على ما أسماه تقرير سري للسافاك "سرطان الأيديولوجيا الدينية السياسية" الذي كان ينتشر في أوساط الشباب والمتقنين الإيرانيين، وخصوصاً في الأوساط الأكاديمية والحوزوية (٤٢). حيث بدأت خلفية هذا الاعتقال تتشكل في أواخر الستينيات، عندما تحولت حلقات درس الخامنئي في مشهد من مجرد دروس دينية تقليدية إلى ما يشبه

الجامعات الشعبية للنضال الفكري. لم يعد الخامنئي يقتصر على تدريس الفقه والأصول كما كان يفعل معظم العلماء التقليديين، بل شرع في تقديم ما يمكن وصفه بـ "التفسير الحركي للقرآن"، الذي كان يمزج بين النصوص الدينية والتحليل الاجتماعي السياسي للواقع الإيراني. كانت هذه الدروس تعقد بشكل رئيسي في مسجد الإمام حسن في حي سرشور الشعبي بمدينة مشهد، ومسجد كرامت في وسط المدينة، وكان يحضرها مزيج متنوع من طلبة الحوزة الشباب، والطلاب الجامعيين من جامعة فردوسي، وحتى بعض المدرسين والمهنيين من الطبقة المتوسطة (٤٣). كانت جلسات التفسير هذه تمثل ظاهرة فريدة في تلك الفترة، حيث كان الخامنئي يربط آيات القرآن بالأوضاع المعاصرة بطريقة لم تكن مألوفة في الأوساط الدينية التقليدية. ففي تفسيره لسورة الممتحنة على سبيل المثال، كان يستخرج منها دروساً حول ضرورة البراءة من الكفار والطواغيت، ويطبق هذا المبدأ على علاقة إيران بالولايات المتحدة وإسرائيل. وفي تفسيره لسورة يوسف، كان يركز على مفهوم الاستضعاف والتمكين ويقارنه بالوضع السياسي للمسلمين في إيران والعالم الإسلامي (٤٤). كانت هذه المنهجية التفسيرية الجديدة تشكل خطراً حقيقياً في نظر النظام، لأنها كانت تقدم إطاراً شرعياً وتأويلياً للنضال السياسي، مما يجعلها أعمق تأثيراً من الخطاب السياسي المباشر. لكن الخطر الأكبر الذي رصده السافاك كان في مشروع الترجمة الفكري الذي قام به الخامنئي. فمنذ مطلع الستينيات (٤٥). تقول إحدى الوثائق للسافاك التي تم العثور عليها بعد الثورة: "هذه الكتب المترجمة تشكل خطراً أكبر من أي سلاح، لأنها تعطي الشرعية الدينية للثورة، وتجعل من معارضة النظام واجباً دينياً وليس مجرد خيار سياسي" (٤٦). كان السافاك يتابع بعناية توزيع هذه الكتب المترجمة، التي كانت تطبع في مطابع سرية في قم ومشهد، وتوزع عبر شبكة معقدة من الطلبة والتجار المتدينين. وقد لاحظ المحققون أن هذه الكتب كانت تصل حتى إلى الثكنات العسكرية والجامعات، مما يعني أن تأثيرها يتجاوز الدوائر الدينية التقليدية. في تقرير داخلي للسافاك مؤرخ في تشرين الأول ١٩٦٩، ورد: "ال خامنئي ليس مجرد مترجم، بل هو جسر لنقل الأفكار المتطرفة من العالم السني إلى الوسط الشيعي. ترجماته تشكل الإطار النظري للحركة الإسلامية (47) "وفي صباح يوم ١٥ آذار ١٩٧٠، داهمت قوة خاصة من السافاك منزل الخامنئي في مشهد. كان الاعتقال هذه المرة مدروساً بعناية، فقد جاء بعد مراقبة مستمرة دامت عدة أشهر. وصف أحد الجيران الذي شهد عملية الاعتقال: "جاءوا قبل الفجر، كانوا أكثر من عشر سيارات، أحاطوا بالبيت من كل الجهات. دخلوا بقسوة، وحطموا الباب. كان السيد الخامنئي يصلي الفجر الصلاة، وأخذوا معه صناديق من الكتب والأوراق" (٤٨). نُقل الخامنئي أولاً إلى مقر السافاك في مشهد، حيث احتُجز لمدة ثلاثة أيام في زنزانة انفرادية، ثم نُقل جواً إلى طهران. كانت هذه هي المرة الأولى التي يُنقل فيها جواً، مما يدل على الأهمية الخاصة التي أولتها أجهزة الأمن لهذه القضية. في طهران، وُضع في سجن قزل قلعة الشهير، في القسم الخاص بالمعتقلين السياسيين الخطيرين (49) تميزت فترة التحقيق في هذا الاعتقال بما يمكن تسميته "التحقيق الاستراتيجي الفكري". فبدلاً من التركيز على الأنشطة التنظيمية المباشرة كما في الاعتقالات السابقة، ركز المحققون هذه المرة على الجانب الفكري والأيدولوجي. كان الهدف الرئيسي هو فهم الشبكة الفكرية التي تربط بين المثقفين الإسلاميين في مختلف المدن الإيرانية، وتحديد كيفية انتقال الأفكار من الحوزات العلمية إلى الجامعات، ومن هناك إلى الشارع (٥٠). كان المحقق الرئيسي في هذه القضية ضابطاً متخصصاً في الشؤون الفكرية اسمه "إحسان" (وهو اسم مستعار ورد في الوثائق)، وكان حاصلًا على شهادة في علم الاجتماع من جامعة أمريكية. يصف الخامنئي في مذكراته هذا المحقق قائلاً: "كان مختلفاً عن المحققين السابقين. لم يكن يصرخ أو يهدد بالتعذيب في البداية. كان يحاور بطريقة منقفة، يحاول أن يفهم طريقة تفكيرنا، أن يرسم خريطة للعلاقات الفكرية بيننا (51) استمرت جلسات التحقيق لمدة أربعين يوماً متتالية، كانت تعقد أحياناً مرتين في اليوم. ركزت الأسئلة على عدة محاور أساسية. مشروع الترجمة: كان المحققون مهتمين بفهم الدوافع وراء ترجمة كتب سيد قطب تحديداً. سألوهم: "لماذا تترجم كتباً لسلفي سني وأنت شيعي؟ هل تحاول خلق تحالف بين الشيعة والسنة ضد النظام (52) "التفسير الحركي للقرآن: حاول المحققون فهم المنهجية التي كان يتبعها في تفسيره السياسي للقرآن. سألوهم: "من علمك هذه الطريقة في التفسير؟ هل تأثرت بمنهج معين؟ هل هناك مراجع معينة تستند إليها (53) "الشبكة الفكرية: كان الهدف رسم خريطة للعلاقات الفكرية بين العلماء والمثقفين الإسلاميين. سألوهم عن علاقته بمفكرين مثل مرتضى مطهري وعلي شريعتي ومهدي بازرگان، وعن طبيعة الحوارات والمناقشات التي كانت تجري بينهم (54) التمويل الفكري: حاول المحققون تتبع مصادر تمويل مشاريع الترجمة والنشر السري. كانت هناك شكوك في تلقي تمويل من مصادر خارجية، خصوصاً من دول عربية أو من منظمات إسلامية دولية (55) واجه الخامنئي خلال هذه الفترة أنواعاً متطورة من الضغط النفسي. فبدلاً من التعذيب الجسدي المباشر كما في الاعتقالات السابقة، استخدم المحققون أساليب أكثر تطوراً: تقنية "المفكر المنعزل": حيث كانوا يتركونه فترات طويلة في زنزانة انفرادية مع كتب مختارة بعناية: بعضها كتب علمانية غربية، وبعضها كتب دينية تقليدية بعيدة عن الفكر السياسي، ثم يناقشونه في قراءاته وماذا استفاد منها (56) المواجهة الفكرية: أحضروا له مفكرين إيرانيين كانوا قد انقلبوا على الحركة الإسلامية وتعاونوا مع النظام، وجعلوهم يحاورونه محاولين إقناعه بخطأ منهجه (57) التحليل النفسي: كان هناك طبيب نفسي

يحضر بعض جلسات التحقيق، ويدون ملاحظاته عن ردود فعل الخامنئي وتفكيره. (58) لكن الخامنئي واجه كل هذه الأساليب بالصمت في معظم الأحيان، أو بإجابات عامة لا تكشف شيئاً. يقول في مذكراته عن هذه الفترة: "كانوا يريدون أن يفهموا عقلاً، أن يعرفوا كيف نفكر، كيف نخطط. لكنني كنت أعرف أن الكلام في مثل هذه الأمور أخطر من الكلام عن الأشخاص والأماكن. لذلك اخترت الصمت معظم الوقت" (٥٩). وفي تموز ١٩٧٠، بعد قرابة أربعة أشهر من الاعتقال، أُطلق سراح الخامنئي بكفالة مالية. (60) الاعتقال الخامس: كان عام ١٩٧١ يمثل نقطة فاصلة في تاريخ النظام البهلوي، حيث أقدم الشاه محمد رضا بهلوي على تنظيم احتفالات ضخمة بمناسبة ما أسماه مرور ٢٥٠٠ عام على الملكية الإيرانية، وهي الاحتفالات التي تحولت إلى واحدة من أكثر الأحداث إسرافاً وبذخاً في القرن العشرين، حيث قدرت تكلفتها بما يقارب ٣٠٠ مليون دولار، وهو مبلغ هائل مقارنة بالظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها الغالبية العظمى من الشعب الإيراني (٦١). في هذا السياق التاريخي الحرج، تحول السيد علي الخامنئي إلى أحد أبرز الأصوات المعارضة لهذه الاحتفالات، ليس فقط من منطلق سياسي، بل من منطلق ديني وأخلاقي عميق، مما أدى إلى اعتقاله الخامس في سلسلة مواجهاته مع نظام الشاه. بدأت قصة هذا الاعتقال مع التحضيرات المكثفة للاحتفالات التي استمرت على مدى عام كامل، حيث جرى تشييد مدينة خيام فاخرة في صحراء مرغاب بالقرب من برسيبوليس، صممها كبار المصممين الفرنسيين، ووفرت فيها أرقى أنواع الطعام والشراب من جميع أنحاء العالم، واستقدمت فرق موسيقية عالمية، ودُعي رؤساء دول وملوك من مختلف أنحاء العالم (٦٢). في المقابل، كانت القرى الإيرانية المحيطة بالموقع تعاني من الفقر المدقع، ونقص الخدمات الأساسية، وانتشار الأمراض والأمية. يقول أحد سكان قرية مجاورة لموقع الاحتفالات: "كنا نرى الأضواء والزينة الفاخرة من بعيد، بينما أطفالنا يموتون بسبب عدم وجود مستشفى أو دواء. كان المشهد أشبه بمسرحية مأساوية. (63) "في هذا المناخ المشحون بالتناقض، بدأ الخامنئي، الذي كان لا يزال تحت المراقبة الأمنية المشددة بعد إطلاق سراحه من الاعتقال السابق، بحملة فعالة ضد هذه الاحتفالات. اعتمد في استراتيجيته على مستويين: الفكري والدعائي. شرع في توزيع وتكرار البيانات والفتاوى الصادرة عن الإمام الخميني من النجف الأشرف، والتي كانت تحرم المشاركة في هذه الاحتفالات وتصفها بأفوى العبارات. في إحدى هذه الفتاوى المؤرخة في آذار ١٩٧١، كتب الإمام الخميني: "هذه الاحتفالات هي احتفالات بالطاغوت والظلم، وهي نوع من الشرك بالله، لأنها تمجد نظاماً ظالماً يهيب أموال الشعب وينفقها على شهواته. المشاركة فيها حرام، والتستر عليها جريمة" (٦٤). أما الجانب الدعائي فقد ارتكز على دعوة الخطباء إلى توعية الناس بحقيقة هذه الاحتفالات. (65) كانت أجهزة السافاك تراقب نشاط الخامنئي بعناية شديدة، خاصة أن الاحتفالات كانت تمثل قضية شرف للشاه ونظامه، حيث أراد من خلالها إثبات عظمة إيران وتقدمها للعالم. في تقرير للسافاك بتاريخ أيار ١٩٧١، ورد: "ال خامنئي أصبح أخطر معارض لهذه الاحتفالات. نشاطه لا يقتصر على التحريض السياسي، بل يصل إلى التحريض الديني الذي يؤثر في العامة والبسطاء. يجب التعامل معه بحزم. (66) "في ليلة ١٥ تشرين الأول ١٩٧١، أي قبل أيام قليلة من بدء الاحتفالات الرسمية، داهمت قوة من السافاك منزل الخامنئي في مشهد للمرة الثانية خلال عامين. هذه المرة، كانت العملية أكثر تنظيمياً وعنفاً. نُقل الخامنئي أولاً إلى مقر السافاك في مشهد، ثم إلى طهران، ووضِع في سجن إيفين الجديد الذي كان قد افتتح حديثاً، في قسم خاص يسمى "قسم الاحتفالات الملكية"، وهو قسم أنشئ خصيصاً للمعتقلين المتورطين في معارضة هذه الاحتفالات. كان هذا القسم تحت إشراف مباشر من ضباط كبار في السافاك، بل وكان الملك نفسه يتابع بعض التحقيقات المهمة شخصياً. (67) لكن الخامنئي أنكر أي اتصال مباشر، مكتفياً بالقول: "أنا أتبع فتاوى العلماء، كما يفعل أي مسلم" (٦٨). في كانون الثاني ١٩٧٢ تم إطلاق سراح السيد الخامنئي، لكن هذه المرة كانت هناك قيود مشددة جداً فرضت عليه بعد إطلاق سراحه، حيث تم وضعه تحت الإقامة الجبرية ومنع من مغادرة مشهد، ووضع تحت مراقبة دائمة. ومُنِع تماماً من ارتقاء المنبر، إضافة إلى منعه من إلقاء الدروس والخطب في المساجد. (69) الاعتقال السادس: في سردية النضال ضد نظام الشاه، يُمثّل الاعتقال السادس للسيد علي الخامنئي في الفترة ما بين أواخر ١٩٧٤ وحتى ٢٤ آب ١٩٧٥ ذروة المواجهة بين الحركة الإسلامية الثورية وآلة القمع البهلوية. يُعرف هذا الاعتقال في الأدبيات الثورية الإيرانية وعند مؤرخي الحركة الإسلامية بـ "اعتقال سجن اللجنة المشتركة" أو "سنة الجمر" لما شهده من تعذيب ممنهج غير مسبوق. (70) حيث كان السياق السياسي والأمني في إيران أواسط السبعينيات يشهد تصعيداً خطيراً. فمنذ عام ١٩٧١ بدأت تظهر في الساحة الإيرانية جماعات مسلحة من مختلف الأيديولوجيات تنفذ عمليات ضد النظام، أشهرها منظمة مجاهدي خلق اليسارية الإسلامية، ومنظمة فدائيي خلق الماركسية، بالإضافة إلى خلايا مسلحة إسلامية مستقلة (٧١). في هذا المناخ المشحون، كانت أجهزة السافاك تشن حملة قمع واسعة النطاق ضد أي نشاط معارض، وقد وضعت قيادات الحركة الإسلامية تحت المجهر باعتبارها "الرحم الفكري" الذي تخرج منه هذه الجماعات المسلحة. وصلت شكوك السافاك تجاه السيد الخامنئي ذروتها في خريف ١٩٧٤، عندما بدأت تحقيقاتها تشير إلى أن بعض الشباب المنخرطين في النشاط المسلح كانوا من طلبة دروسه في مشهد، وأنهم تأثروا بكتابات وترجماته (٧٢). إضافة إلى ورود معلومات استخباراتية عن

اتصالات مشبوهة بين السيد الخامنئي وجهات معارضة، كانت الشرارة التي أدت إلى اعتقاله السادس في ليلة ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٤، وفي عملية مدهامة تم اعتقاله في منزله بمشهد. كانت العملية هذه المرة مختلفة جذرياً عن الاعتقالات السابقة. فبدلاً من نقله إلى سجن محلي ثم إلى طهران، نُقل مباشرة بطائرة عسكرية إلى العاصمة، حيث وُضع في سجن "اللجنة المشتركة"، وهو الاسم الرمزي لأخطر سجون النظام البهلوي، الذي كان يديره اتحاد من أجهزة الأمن السافاك والشرطة العسكرية والمخابرات العسكرية (٧٣). كان هذا السجن، الواقع في منطقة توجال شمال طهران، محظوراً حتى ذكر اسمه، وكان يُعتبر مقبرة للأحياء، حيث دخله آلاف المعتقلين السياسيين ولم يخرج منه الكثيرون. (74) ما ميّز هذا الاعتقال عن سابقه كان طول مدته ووحشية التعذيب الذي تعرض له السيد الخامنئي. فبعد وضعه في زنزانه انفرادية لا يتجاوز حجمها مترين في متر ونصف، بدأت سلسلة من جلسات التعذيب المنهجي التي استمرت لأشهر. يقول الخامنئي في مذكراته عن هذه الفترة: "في سجن اللجنة المشتركة، تتعرف على معنى جديد للتعذيب. كانت الأصوات التي تسمع من الزنازين ليلاً ونهاراً لا تشبه أصوات البشر. صراخ ممزوج بأنين، ضحكات هستيرية للمحققين، صوت الصعق الكهربائي، صوت السياط وهي تهوي على الأجساد... كان جحيماً حقيقياً على الأرض" (٧٥). من بين أساليب التعذيب التي تعرض لها الخامنئي والتي ذكرها في شهادته اللاحقة: الكرسي الكهربائي: حيث كان يُجبر على الجلوس على كرسي معدني موصل بالكهرباء، ثم يصعق بتيارات متقطعة تتراوح بين ١١٠ و ٢٢٠ فولت، مما يسبب تشنجات عضلية مؤلمة وتلفاً في الأعصاب (76). التعذيب على الجروح القديمة: إذ كان المحققون يركزون على أماكن الجروح والكسور القديمة الناتجة عن التعذيب في الاعتقالات السابقة، حيث يضربونها بعنف لتكسر من جديد، مما يضاعف الألم ويعيق الشفاء. (77) الخيمة: حيث يغطي المسجون ببطانية ثقيلة ويضرب تحتها بالعصي والكرابيج، مما يسبب كدمات داخلية دون أن تظهر على الجلد. (78) لكن المفارقة التاريخية العظيمة أن هذا السجن، الذي صُمم لكسر الإرادات وإبادة الشخصيات، تحول في حالة الخامنئي إلى ما يشبه الخلوة الروحية والفكرية (٧٩). تمكن السيد الخامنئي من التواصل مع بعض زملائه في النضال داخل السجن، مستغلين التصميم المعماري المتداخل لزنزاتين اللجنة المشتركة. ذلك بفضل استخدام شفرة معقدة تعرف بـ "شفرة مورس" (٨٠). هذا السجن كان يضم كبار القادة السياسيين من مختلف التيارات. استطاع السيد الخامنئي أن يتعرف على بعضهم، أمثال محمد علي رجائي الذي كان معتقلاً معه في نفس السجن وتواصل مع السيد الخامنئي باستخدام شفرة مورس (٨١). وكذلك الشهيد محمد بهشتي، والذي كان في ذات السجن، وكان تواصلهم بأسلوب مختلف، وذلك عبر رسائل تُنقل بواسطة سجناء عاديين كانوا يخرجون مؤقتاً من الزنازين (٨٢). من بين الأفكار التي تبلورت لديه في هذه الفترة (سجن اللجنة المركزية) هي ضرورة الجمع بين "الثورية" و"الدولتية"، أي الحفاظ على روح الثورة وجذريتها، مع بناء مؤسسات دولة قادرة على الإدارة والحكم (٨٣). والمرونة في التعامل مع التيارات المختلفة، واقتناعه بضرورة بناء جبهة واسعة ضد النظام تضم باقي التيارات، حتى تلك التي تختلف مع الإسلاميين فكرياً. (84) وبعد قرابة تسعة أشهر من الاعتقال، تم الإفراج عن السيد علي الخامنئي بعد الضغوطات التي مارستها منظمات حقوق الإنسان الدولية على الشاه وحكومته، إثر تسرب معلومات عن التعذيب الوحشي الذي يتعرض له المعتقلون (٨٥). بعد الإفراج عنه، وُضع على السيد الخامنئي عدة شروط منها وضعه تحت الإقامة الجبرية المشددة في مشهد، مع المنع التام من ممارسته لأي نشاط ثقافي أو سياسي، ووضعه تحت المراقبة الدائمة. (86)

### المبحث الثالث: نفي السيد علي الخامنئي إلى إيران شهر وجرى وقت عام ١٩٧٧/١٩٧٨

بعد وفاة السيد مصطفى الخميني في ظروف غامضة في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٧٧، ذهب السيد علي الخامنئي إلى دائرة البرق والبريد وكتب أربعة برقيات: واحدة باسمه، والثانية باسم الشيخ عباس واعظ الطبسي، والثالثة باسم الشيخ محمد رضا المحامي، أما الرابعة فكانت باسم السيد عبد الكريم هاشمي نجاد. كانت هذه البرقيات موجهة إلى النجف، وأسلوب صياغتها يحمل تحدياً لسلطة الشاه. ثم حاول إقامة مجلس فاتحة في أحد المساجد، إلا أنه لم يوفق في ذلك بسبب اعتقال كل من حاول إقامة مجلس قبله. وعلى الرغم من ذلك، قام رجال السافاك باعتقال السيد علي الخامنئي، وبعد سجنه في مقر سافاك مشهد، تم نفيه مباشرة إلى مدينة إيرانشهر. (87) ولم يكن اختيار هذه المدينة عشوائياً، بل استهدف السافاك من ورائه تحقيق عزل جغرافي وسياسي تام، نظراً لبعدها الشاسع عن مراكز القرار في طهران ومشهد، فضلاً عن طبيعتها المناخية القاسية وتكوينها الاجتماعي المذهبي والقومي المختلف، إذ أن غالبية سكانها من قومية البلوش من اتباع المذهب الحنفي السني (٨٨)، لذا اعتقد السافاك إمكانية حدوث تصادم أو جفاء بين السيد الخامنئي والمحيط المحلي، مما يؤدي إلى تحييد دوره التبليغي. (89) بدأ السيد علي الخامنئي حياة المنفى بحذر شديد، مدركاً أنه تحت المراقبة المكثفة لعناصر السافاك الذين كانوا يترصدون تحركاته ويحصون زواره، حيث كان من أوائل الذين زاروه في المنفى الشيخ محمد جواد باهنار (٩٠). ومع ذلك، لم ينعلق على نفسه، بل سعى للتعرف على مجتمع إيرانشهر الذي كان غريباً عنه من عدة نواحٍ. فكانت اللغة أول عائق، فأغلبية السكان يتحدثون البلوشية، وهي لغة مختلفة تماماً عن الفارسية والعربية. كما أن الانتماء المذهبي

كان مختلفاً (٩١). لكن الخامنئي تعامل بحكمة مع هذا الواقع، فلقد بدأ بتعلم بعض الكلمات البلوشية الأساسية الضرورية للتواصل اليومي (٩٢). كما أظهر احتراماً عميقاً للمشاعر والعادات المحلية، وحرص على زيارة العلماء والمشايخ الدين في المدينة، معبراً عن مشاعر الأخوة الإسلامية والتأكيد على المشتركات الكبرى التي تجمع المسلمين. (93) في المنفى لم ينقطع اتصاله الروحي والفكري بمرشده وقائده، الإمام الخميني. فقد كانت تصل إليه بعض أشرطة الكاسيت التي تسجل خطب السيد الخميني من منفاه في النجف (٩٤). وكانت هذه الأشرطة تشكل له ولرفاقه مصدر إلهام وتقوية للعزيمة (٩٥). كما استغل السيد الخامنئي فترة المنفى لتعميق معرفته. فكان يخصص ساعات طويلة للمطالعة (٩٦). في حين حوّل منزله المتواضع إلى حلقة علمية صغيرة يلتقي فيها مع مجموعة من الشباب المتدينين والمثقفين المحليين، يناقشون فيها القضايا الدينية والاجتماعية، ويستمعون إلى توجيهاته التي كانت تخلق بين التربية الروحية والتحليل السياسي الرصين للواقع الإيراني. (97) وقد تجلّت قمة التأثير العملي للسيد الخامنئي في المنفى خلال كارثة طبيعية ألمّت بالمنطقة. ففي عام ١٩٧٨، تعرضت إيران شهر لفيضانات وسيول جارفة مدمرة (٩٨). تقاعست السلطات الحكومية المحلية عن تقديم المساعدات الفعالة للمنكوبين، فوجد السيد الخامنئي في هذه المأساة فرصة لترجمة المبادئ الإسلامية إلى عمل ملموس. قام بتنظيم جهود الإغاثة بنفسه، حيث جمع التبرعات من التجار والميسورين، وقام بتوزيع الغذاء والملابس والأغطية على المتضررين (٩٩). ولم يكتف بالتوجيه من بعيد، بل شارك بنفسه في عمليات الإغاثة، وزار المناطق المتضررة ليطمئن على أحوال الناس ويعزي ذوي الضحايا (١٠٠). هذا الموقف الإنساني العظيم ترك أثراً عميقاً في نفوس أهالي إيران شهر، بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية أو القومية. لقد رأوا في هذا العالم الشيعي المنفي نموذجاً حياً للعالم المسلم الرحيم، المنشغل بهوموم الناس ومصابهم، على عكس صورة النظام الحاكم البعيد والقاسي (١٠١). هكذا، فشلت حسابات السافاك تماماً، فبدلاً من أن يكون المنفى سجنًا مفتوحاً يعزل الخامنئي ويحيدّه، تحول إلى مدرسة ونقطة انطلاق لتعميق صلته بشرائع جديدة من الشعب الإيراني. (102) بعد إيران شهر، نُفي السيد علي الخامنئي إلى مدينة جيروفت عام ١٩٧٨، حيث قرر السافاك نفيه إلى هناك. لم يكن يعرف أحد هناك عند وصوله، فأصطحب إلى الشرطة المركزية. ولكن لم يمر وقت طويل هناك حتى أحس بألفة، حيث نشط كخطيب لمسجدها. وفي يوم ٢٠ أيلول، تم إبلاغ السيد علي الخامنئي بقرار السافاك تعليق حكم نفيه والسماح له بمغادرة جيروفت بعد ٢٨٥ يوماً قضاها في المنفى، فعاد السيد علي الخامنئي إلى مشهد، وفي طريقه إليها سمع نبأ سفر السيد الخميني إلى باريس. (103)

### المبحث الرابع: الأثر السياسي للسيد علي الخامنئي حتى انتصار الثورة

فور وصوله إلى مشهد، انغمس السيد علي الخامنئي في العمل التنظيمي والخطابي، إذ شارك في قيادة وتوجيه المظاهرات الجماهيرية في مشهد بشكل شبه يومي، حيث كان يلقي خطبه في الميادين والحسينيات والمساجد، ولا سيما في حرم الإمام الرضا (ع). وركز على بث الروح الحماسية في خطابه، حيث كان يروي تجربته في السجون والمنافي، ويكشف عن فساد النظام وقمع السافاك، ويبشر بقرب انتصار الثورة بقيادة السيد الخميني (١٠٤). وكان يربط بشكل محكم بين الخطاب الديني والثوري، مفسراً الأحداث الجارية على ضوء التعاليم الإسلامية ومفاهيم الجهاد والثورة ضد الظلم المستمدة من نهج أهل البيت (ع) (١٠٥). كما كرّس كل جهوده لتثبيت مركزية قيادة السيد الخميني كمرجع ديني وقائد سياسي وحيد للثورة، ويدحض أي محاولة لطرح بدائل أو قيادات متنافسة (١٠٦). وكان يتابع بدقة تحركات النظام والمجموعات السياسية الأخرى (107). إلى جانب الخطابة، لعب السيد الخامنئي دوراً تنظيمياً محورياً في مجريات الثورة الإيرانية. فقد ساهم في تشكيل وتقوية لجان الثورة في مشهد والمدن المحيطة، وهي الخلايا الشعبية التي كانت تنظم التظاهرات وتوزيع المنشورات وتسهم في نشر أشرطة السيد الخميني، وبدأت تأخذ على عاتقها لاحقاً مهمة حفظ الأمن في الأحياء بعد انهيار سلطة الحكومة المركزية (١٠٨). كما كان حلقة وصل مهمة بين قيادة الثورة في منفى باريس والداخل الإيراني، حيث كان يوصل التوجيهات ويبلغ عن تطورات الوضع الميداني (١٠٩). بسبب هذا النشاط الميداني الحاد، تعرّض السيد علي الخامنئي لخطر الاعتقال مرة أخرى، حيث كانت قوات الأمن تبحث عنه، مما اضطره إلى التنقل بين البيوت والمساجد بشكل يومي في بعض الفترات (١١٠). وكان يضمن خطابه للجماهير بشرح نظرية "ولاية الفقيه" التي نادى بها السيد الخميني كمبدأ أساسي لنظام الحكم الإسلامي، محبباً على الشبهات والانتقادات التي كانت تثار ضدها. (111) بعد أن غادر الشاه إيران في ١٦ كانون الثاني ١٩٧٩، دخلت الثورة مرحلتها الحاسمة، حيث تحول الحراك الشعبي من المطالبة برحيل النظام إلى بناء البديل. في هذه الفترة، برز السيد علي الخامنئي في مدينة مشهد كقائد للمرحلة الانتقالية. لم تكن مهمته مجرد الخطابة، بل كانت إدارة الفراغ الأمني والإداري؛ حيث أشرف على تنظيم المسيرات المليونية التي طالبت بعودة الإمام الخميني، وعمل على حماية المنشآت الحيوية في محافظة خراسان من عمليات التخريب التي كانت تهدف السلطة المنهارة للقيام بها كخيار أخير. (112) وفي أواخر كانون الثاني عام ١٩٧٩، أصبح من الواضح جداً الحاجة إلى هيئة قيادية عليا تمثل الثورة وتدير دفة البلاد خلال المرحلة الانتقالية الحرجة بين سقوط الدولة القديمة وقيام الدولة الجديدة (١١٣). كانت فكرة "مجلس قيادة الثورة" قد بدأت

تتطور في أوساط المقربين من السيد الخميني في باريس، ونوقشت عبر اتصالات مكثفة مع الداخل، حيث رأى السيد الخميني ضرورة وجود قيادة جماعية تضمن عدم الانفراد بالسلطة وتوحد الصفوف (١١٤). ومن هنا، شارك السيد الخامنئي بشكل فعال في المشاورات التي أدت إلى تشكيل المجلس، مستفيداً من موقعه كحلقة وصل بين باريس والداخل وكقائد له وزنه في الميدان (١١٥). حيث حضر سلسلة من الاجتماعات في العاصمة طهران ومدينة قم بين أواخر كانون الأول ١٩٧٨ ومنتصف كانون الثاني ١٩٧٩. في هذه الاجتماعات، قدم الخامنئي مقترحات عملية وتفصيلية حول تشكيل المجلس واختصاصاته الدستورية والتنفيذية، وشارك بشكل أساسي في صياغة المسودة الأولى للنظام الداخلي للمجلس وآليات عمله (١١٦). كما دعم بقوة فكرة تمثيل جميع التيارات الإسلامية الرئيسية المشاركة في الثورة داخل المجلس، مع الحفاظ على الأغلبية للتيار الملتزم بخط السيد الخميني (١١٧). وأكد بشكل خاص على أهمية وجود ممثلين عن القوى الثورية الشابة والجمهورية التي تحملت عبء النضال في الشوارع، لكي لا تبقى القيادة حكراً على الجيل القديم من العلماء والسياسيين (١١٨). وطالب بتمثيل جغرافي عادل للمناطق المختلفة من إيران، خاصة المناطق الطرفية والأقليات، لتعزيز شعور الانتماء الوطني للدولة الجديدة (١١٩) وكانت قد واجهت عملية تشكيل المجلس عدة خلافات جذرية بين الأطراف المشاركة في المشاورات، كان للسيد علي الخامنئي دور رئيسي في حلها وتقريب وجهات النظر (١٢٠). كان في طليعتها الخلاف حول مدى الصلاحيات والسلطات، حيث انقسم المشاركون إلى تيارين رئيسيين: تيار يريد منح المجلس صلاحيات تشريعية وتنفيذية واسعة تجعله بمثابة برلمان وحكومة مؤقتة حتى كتابة الدستور، وتيار آخر يفضل صلاحيات محدودة ومؤقتة كمجلس استشاري أو تنسيقي فقط (١٢١). اقترح الخامنئي حلاً وسطاً نكياً يراعي مصلحة الثورة العليا، يتمثل في منح المجلس صلاحيات تشريعية مؤقتة لسد الفراغ، مع إبقاء التنفيذ بيد حكومة مؤقتة يتم الاتفاق عليها، مما وفر توازناً بين السلطات (١٢٢). أما الخلاف الثاني فقد كان حول طبيعة العلاقة مع ولاية الإمام الخميني، إذ ثار جدل حول كيفية تحقيق التوازن بين سلطة المجلس الجماعية وولاية الإمام الخميني الفردية كمرجع أعلى للثورة. ناقش الخامنئي هذه القضية بعمق مع مختلف الأطراف، وقدم تصوراً واضحاً للعلاقة التكاملية بين القيادتين: المجلس كأداة تنفيذية وتشريعية، والإمام كمرجعية عليا ورمز للوحدة وصاحب القرار الاستراتيجي النهائي (١٢٣). وساهم بشكل مباشر في صياغة الصيغة النهائية للعلاقة التي أقرت بالولاية العامة للإمام مع تفويض الصلاحيات التنفيذية للمجلس (١٢٤) وعند الإعلان الرسمي عن تشكيل مجلس قيادة الثورة في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٧٩، كان الخامنئي من الأعضاء المؤسسين التسعة الذين اختارهم الإمام الخميني شخصياً، مما يعكس الثقة الكبيرة بمكانته وخبرته (١٢٥). وقد تولى منذ اليوم الأول عدة مسؤوليات حيوية داخل المجلس، كان أولها: رئاسة لجنة الشؤون السياسية: والتي كانت مهمتها الإشراف على الانتقال السياسي والتنسيق مع القوى المختلفة ودراسة العلاقات الخارجية (١٢٦). عضوية لجنة صياغة الدستور: التي كلفت بوضع المسودة الأولى للدستور الإسلامي الجديد، حيث ساهم بخبرته الفقهية والسياسية في إعداده (١٢٧) المشرف على لجنة التنسيق مع القوى الثورة: حيث كانت هذه اللجنة تشكل همزة الوصل بين المجلس واللجان الثورية المنتشرة في المدن لمنع الفوضى وتوحيد الجهود (١٢٨) ومع اقتراب موعد عودة الإمام الخميني المنتظرة في الأول من شباط عام ١٩٧٩، تحولت التحضيرات لاستقباله إلى عبء مركزي استحوذ على كل الطاقات والجهود (١٢٩). كان هذا الحدث التاريخي يتطلب تحضيرات أمنية وتنظيمية غير مسبوقة في ظل ظروف بالغة الخطورة، حيث كانت بقايا النظام السابق لا تزال قادرة على أعمال التخريب، كما كانت هناك مخاوف حقيقية من محاولات اغتيال مدعومة من جهات خارجية (١٣٠). في هذا المناخ المشحون، تولى السيد الخامنئي مسؤوليات كبيرة وخطيرة في المجال الأمني، مستفيداً من خبرته التنظيمية الواسعة التي اكتسبها خلال سنوات العمل النضالي وعلاقاته الممتدة في أوساط القوى الثورية المختلفة والانضباط الصارم الذي عُرف به شخصياً (١٣١). حيث يشير الكتاب الصادر من مركز البحوث والدراسات التابع لجهاز المخابرات العراقي إلى أنه تلقى عدة تدريبات عسكرية في معسكر عين جالوت بمصر بتوصية من ياسر عرفات عام ١٩٧٤، إضافة إلى دخوله دورات عسكرية في معسكر صبرا في لبنان. هذه التدريبات العسكرية جعلته أبرز المتصددين لتأمين عودة السيد الخميني إلى إيران (١٣٢). حيث تشكلت تحت رئاسته المباشرة "اللجنة الأمنية العليا لاستقباله"، وهي لجنة خاصة ضمت نخبة من العناصر الأكثر ثقة وكفاءة من قادة اللجان الثورية في طهران الذين أثبتوا جدارتهم خلال أشهر الثورة الماضية، ومن الضباط المنشقين عن الجيش النظامي الذين أظهروا ولاءً تاماً للثورة وأيدوا توجهات الإمام الخميني (١٣٣). قامت هذه اللجنة، من خلال فرق متخصصة، بتنظيم مجموعة من الإجراءات الأمنية الاستثنائية، منها تشكيل فرق خاصة للحراسة الشخصية القريبة للإمام، تم اختيار أفرادها بعناية فائقة من بين المناضلين السابقين الذين تحملوا السجن والتعذيب، مما ضمن درجة عالية من الإخلاص والتضحية (١٣٤). كما وضعت خطط طوارئ مفصلة لمواجهة أي سيناريو محتمل لمحاولة اغتيال، شملت مسارات بديلة للإخلاء السريع، ونقاط تجمع آمنة، وتكتيكات للتشويش على أي هجوم محتمل (١٣٥). كما أجرى السيد علي الخامنئي اتصالات مع عناصر متعاطفة داخل مؤسستي الجيش والشرطة، ممن كانوا على استعداد للتنسيق مع الثورة خلال هذه

المناسبة المصيرية (١٣٦). وبناءً على هذه الاتصالات، تم تنظيم شبكة مراقبة مكثفة للمناطق التي كان من المقرر أن يمر بها موكب السيد الخميني من المطار إلى مقر إقامته المؤقت، مع نشر عناصر مراقبة في المباني العالية وعلى طول الطريق (١٣٧). وإعداد خطط استباقية لإبطال مفعول أي عمل تخريبي، من خلال تشكيل فرق للتفتيش المسبق للطرق، ووضع آليات للتعامل السريع مع المتفجرات أو العوائق. (138) أما على صعيد التنظيم الجماهيري، فكان التحدي الأكبر يتمثل في إدارة الحشود الهائلة التي قدرت بالملايين، والتي كانت تتدفق من جميع أنحاء إيران إلى طهران (١٣٩). قُسمت العاصمة طهران إلى مناطق تنظيمية واضحة المعالم، عُين لكل منها منسقون محليون من ذوي الخبرة في إدارة الحشود، كانوا على اتصال دائم بغرفة عمليات مركزية أشرف عليها الخامنئي بنفسه (١٤٠). ووضع نظام اتصال هرمي بين المناطق، يعتمد على العدائين والدراجات النارية والاتصالات اللاسلكية البسيطة، لضمان تدفق المعلومات والتعليمات بسرعة (١٤١). وفيما يخص الجانب الإعلامي والتوجيهي، فقد قام السيد علي الخامنئي بتسجيل عدة خطابات توجيهية موجهة للحشود، نُشرت عبر شبكة من الإذاعات التي كانت تبث من أماكن متحركة، وتم فيها حث الناس على الحفاظ على الهدوء والنظام والالتزام بالتعليمات التنظيمية (١٤٢). حيث نظمت عملية نشر مكثفة للتعليمات عبر منشورات وبيانات وزعت في المساجد والحسينيات ونقاط التجمع، تضمنت إرشادات حول السلوك المطلوب وطرق المساعدة الطبية والإسعافات الأولية. (143) عند وصول الإمام الخميني في الأول من شباط ١٩٧٩، وقف الخامنئي على منصة مطار مهرآباد وألقى خطاباً تاريخياً أمام الحشود الغفيرة والقيادات الثورية، قال فيه: "أيها الشعب الإيراني العظيم، ها قد ردت إليكم الشمس المشرقة، جاء إليكم الأمل الموعود، عاد إليكم منقذكم ومحرككم. لقد انتصرت إرادة الأمة على أعتى الطغاة، وما نحن نبدأ معاً صفحة جديدة في تاريخ إيران، صفحة العدل والإيمان والحرية" (144).

## الخاتمة

رسمت مسيرة السيد علي الخامنئي النضالية منذ بواكير وعيه السياسي عام ١٩٥٣ وحتى لحظة انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، مساراً متكاملًا لتطور القائد الثوري الميداني والمفكر المنظم. لقد جمعت تجربته بين التأثير الفكري المبكر برواد مثل نواب صفوي وسيد قطب، والانضباط الحوزوي والاستراتيجي تحت قيادة الإمام الخميني. ولم تكن الاعتقالات الستة والنفيان مجرد محن، بل تحولت إلى "جامعات" صقلت فكره وقدرته على التحمل، وعمقت صلته بشرائح متنوعة من الشعب الإيراني، من سنة بلوش إيران شهر إلى متقفي طهران. كانت حصيلة هذه المسيرة الطويلة قائداً متمرساً، جمع بين العمق الفقهي والفكري، والخبرة التنظيمية والعلنية، والشجاعة الميدانية، والإيمان الراسخ بفكرة ولاية الفقيه كأساس للنظام الإسلامي. وقد تجلت هذه الخبرات المتراكمة في أدواره المحورية خلال عام ١٩٧٨ و ١٩٧٩، سواء في قيادة الحراك الجماهيري في مشهد، أو في المساهمة الفاعلة في تشكيل مجلس قيادة الثورة، أو في قيادة واحدة من أعقد العمليات الأمنية والتنظيمية في تاريخ إيران المعاصر لاستقبال الإمام الخميني. وهكذا، مثل وصول الإمام الخميني وانتصار الثورة تتويجاً لمسار نضالي استمر ربع قرن، وبدايةً لدور جديد للسيد الخامنئي في بناء الدولة الإسلامية الجديدة.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: الوثائق والأرشيفات

١. آرشيوي ملي ايران. اسناد ساواك: پرونده سيد علي خامنه‌ای. تهران، ايران ١٩٦٣. ص. ١٢.
٢. آرشيوي ملي ايران. صورت‌جلسات شورای انقلاب و پیش‌نویس نظام‌نامه داخلی. تهران، ايران ١٩٧٩. ص. ٥.
٣. آرشيوي ملي ايران. سوابق زندان اوین و بخش جشن‌های سلطنتی. تهران، ايران ١٩٧١. ص. ١٨.
٤. آرشيوي مؤسسه تنظيم و نشر آثار امام خمینی. اسناد کمیته امنیتی استقبال و طرح‌های اضطراری. تهران، ايران ١٩٧٩. ص. ١١٢.
٥. مجمع تشخیص مصلحت نظام. طرح پیشنهادی علی خامنه‌ای برای توازن قوا ورقة کار. تهران، ايران ١٣٥٧. ص. ٢.

### ثانياً: الكتب والمذكرات

٦. علي خامنه‌ای. خون دلی که لعل شد. تهران، ايران ١٣٩٧. ص. ١٥٠.
٧. علي خامنه‌ای. خاطرات ذکریات. تهران، ايران ١٩٩٤. ص. ٢١٠.
٨. علي خامنه‌ای. حدیث الذکریات. تهران، ايران ٢٠٠٠. ص. ٥٥.
٩. أحمد خمینی. خاطرات: روزهای پاریس. تهران، ايران ١٣٧٣. ص. ٤٢.
١٠. محمد بهشتی. خاطرات سجن ضمن مجموعه آثار شهید بهشتی. تهران، ايران ١٩٩١. ص. ٨٩.

١١. محمد جواد باهنر. خاطرات مبارزه. تهران، ايران ١٩٩٦. ص. ١٢٠.
١٢. مرتضى ميردار. خاطرات على اكبر مسعودى خمينى. تهران، ايران ١٣٨١. ص. ٢٠١.
١٣. مصطفى خوش چشم. چريك هاى عرب و پيوندهاى انقلابى. تهران، ايران ١٩٨٠. ص. ٦٥.
١٤. حميد روحانى. نهضت امام خمينى. تهران، ايران ١٩٩٥. ص. ١١٢.
١٥. حسين شاهد. زندان هاى شاه: كميته مشترك. تهران، ايران ٢٠٠٥. ص. ١٨٠.
١٦. على اصغر ذاكرى. جشن هاى ٢٥٠٠ ساله. تهران، ايران ٢٠٠٣. ص. ٣١٠.
١٧. عبد الحميد ربيعى. قيام ١٥ خرداد. تهران، ايران ١٩٩٨. ص. ٢٦٠.
١٨. محمد رحيم بور. فدائيان اسلام: تاريخ و تحليل. تهران، ايران ٢٠٠٠. ص. ٤٥.
١٩. ناصر ابراهيمى. تاريخ سازمان هاى مسلح در ايران. تهران، ايران ١٩٩٨. ص. ١٣٤.

### **ثالثاً: المجلات والصحف**

٢٠. روزنامه اطلاعات. آوريل ١٩٦٧. ص. ٤. تهران، ايران.
٢١. روزنامه كيهان. فوريه ١٩٧٩. ص. ١. تهران، ايران.
- مجله ذكرى. مصاحبه با على خامنه اى پيرامون تجربه زندان و شكنجه. تهران، ايران ١٩٨٢. ص. ١٢.

### **رابعاً: المصادر الانجليزية**

- Baqer Moin. Khomeini: Life of the Ayatollah. New York, NY 1999. p. 185.
23. Ervand Abrahamian. Iran Between Two Revolutions. Princeton, NJ 1982. p. 473.